[تحدّيات الخطابة الحسينية وطرق مواجهتها]

العلّامة الحجّة السيّد حسين الحكيم*

محاضرة أُلقيت في ملتقى الخطباء الذي أقامته مؤسّسة وارث الأنبياء للدراسات التخصّصية في النهضة الحسينية بتاريخ (٢٧/ ٨/ ٢٠١٨)، تحت شعار: (الخطابة الحسينية رسالة إصلاح)، وقد حمل هذا الملتقى عنوان: (مهمّة الخطيب بين هموم المجتمع وتطلّعاته)، ولكون ما جاء في هذه المحاضرة من معلومات قيّمة واستنتاجات علمية رصينة نافعة للباحثين والخطباء، فقد عمل قسم مجلّة الإصلاح الحسيني على إعداد هذه الكلمة وترتيبها، مع تصرّف فنّي بسيط.

مقدّمة

يقول سبحانه وتعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[1].

إنّ التحدّيات سنّة الله في خلقه، وإنّها عندما تشتدّ وتعظُم تُحقّق ـ عادةً ـ موضوعات لأحكام شرعية، ومن المعلوم أنّ الخطيب والمبلّغ وطالب العلم، بل كلّ مؤمن، ينبغي أن يكون همّه الأوّل هو أداء تكليفه الشرعي.

سنحاول ـ هنا ـ أن نُشير إلى بعض هذه التحدّيات، مع تسليط الضوء عليها داخل العراق؛ باعتباره الميدان الأبرز لرعاية جهود خدمة المنبر الحسيني.

وقبل أن ندخل في صلب الموضوع نحتاج إلى أن نذكّر أنفسنا، ونُشير إلى حقيقة

---

* أُستاذ البحث الخارج في الحوزة العلمية/ النجف الأشرف.

(١) العنكبوت: آية٢.

نلمسها في كلّ عام، وهي أنّه عندما يحلّ الموسم الحسيني نجد أنّ بعض التحدّيات والصعوبات تتقشّع كما تتقشّع سحائب العمى، وأنّ المزاج العام للأُمّة يتغيّر باتجاه الصلاح، ويطلق المؤشّر الديني درجاته العالية، وهذا الأمر يمكن أن نشاهده أيضاً في ميدان وسائل التواصل الاجتماعي، وهو ميدان فيه اختراقات كبيرة، وجيوش إلكترونية تعمل باستمرار.

إضافة إلى ذلك، نجد أنّ نسبة الجريمة في العراق ـ كنموذج ـ تنخفض في هذا الموسم الحسيني، وتؤيّد ذلك بعض الإحصاءات التي طُرحت عن هذا الموضوع من خلال وسائل الإعلام، وكذلك الإحصاءات التي توصّلنا إليها من خلال اللقاء مع بعض الخبراء في وزارة الداخلية العراقية.

إذاً؛ نحن في موسم مُعدّ سابقاً لأن يُحقق تقدّماً كبيراً، فحينما نجلس على منبر الحسين عليه السلام نمتطي صهوة النصر، ونجد أنّ النصر بمتناول أيدينا، ولكنّنا نحتاج أن نُعدّ له عدّته، ونعطي للأمر أُهبته كما يستحقّ، وهذا الأمر ليس مجرّد إثارة، وليس حديثاً على طريقة بعث الأمل من أجل المحافظة على قوّة المعنويات، وليس مجرّد انطباعات ناشئة من مجسّات اجتماعية، بل يستند إلى أرقام دقيقة.

إنّ التحدّيات التي تواجه الخطيب الحسيني في مهامّه التبليغية ثلاثة، وهي: تحدّي إضلال، وتحدّي فسق، وتحدّي عدوان.

أوّلاً: تحدّي الإضلال

تحدّي الإضلال ـ بطبيعته وفي واقعنا المعاش ـ فيه جانب إفراط وجانب تفريط، فالتفريط يتمثّل عادةً في التوجّهات اللادينية التي تتمظهر بالإلحاد وأخواته، وتحثّ الإنسان وتُوجّهه نحو عدم القبول بالغيب، والتعلّق بالمادّة، ليس على مستوى السلوك فقط، بل حتّى على مستوى الرؤية والفكر.

وفي مقابل التفريط هناك إفراط يتمثّل ـ في كثير من الأحيان ـ باستغلال الولاء المتأجّج في النفوس من أجل إثارة توجّهات، وتحريك ضلالات لا أساس لها في الدين، من قبيل: دعاوى المهدوية، وبعض التحرّكات التي تدعو إلى الجهر باستفزاز الآخرين، واستهداف رموزهم بشكل أو بآخر، ممّا هو خارج عن مقتضى ولائنا لأهل البيت عليهم السلام وتوجيهاتهم، وبالتدريج تتحوّل إلى ظاهرة، وإلى حركة، وتتبلور بشكل أو بآخر إلى انتماء.

المهمّ هو أنّ الخطيب الحسيني عندما يُواجه حالة من الإفراط والتفريط في موضوع ما، عليه أن يضع نفسه أمام جمهوره في خانة الاعتدال، وأن يستفيد من هذا الموضوع إفادة تامّة؛ لأنّ عرض نمطَي الإفراط والتفريط في موضوع معيّن، ثمّ بيان الرؤية المعتدلة لذلك الموضوع، يساعده كثيراً على إقناع الجمهور، فمثلاً: إذا أردنا أن نتحدّث عن مشكلات العقل الجمعي، الذي كان له دور حتّى في قتل الحسين عليه السلام[1]، يمكن أن نُشير إلى نمطين من الشبهة: النمط الإفراطي، والنمط التفريطي في ذلك، وكذلك عندما نريد أن نتحدّث عن البُعد المعنوي في الشخصية الإنسانية، كذلك يمكن أن نشير إلى النمطين، وربّما نجد البعدين معاً في أكثر المشكلات التي ننطلق منها، ونريد أن نعالجها كواقع اجتماعي.

إذاً؛ إذا طرحنا الشبهتين (النمطين) معاً، وطرحنا الوسطية بالاتّزان الذي يحكّم العقل، ويعمل بمخرجاته، ويأخذ بمعطياته التي يُعدّ من أهمّها التعبّد الواعي الذي يستند إلى النتائج العقلية، فسيكون لذلك الأثر البالغ في إقناع الجمهور؛ لأنّ إقناع الجمهور لا يكفي فيه دائماً المنطق القوي وحده، بل نحتاج في كثير من الأحيان إلى الأدوات الأُخرى التي تنسجم مع قوّة المنطق.

(١) ففي بعض مشاهد كربلاء كانت هناك حالة من تحشيد للعقل الجمعي بشكل أو بآخر.

ثانياً: تحدّي الفسق

إنّ ظاهرة الفسق وتأجيج دواعيه في الواقع الاجتماعي بلغت حدوداً بعيدة المدى، وبالتأكيد فإنّ كلّ مَن ينغمس في الواقع الاجتماعي، ويكون قريباً من تفاصيله، يُصادف العجب في هذا المجال، كما أنّ هناك خطورة كبيرة في هذا المجال تكمُن في التغليف العرفي لكثير من الانحرافات.

ويمكن أن نُعالج هذا الواقع من خلال التركيز على البُعد الأخلاقي. نعم، إنّ البُعد الأخلاقي فيه مراتب عُليا، وفي بعض الأحيان نستنزف أنفسنا ونحن نظنّ أنّنا نتحدّث عن المراتب العُليا في القيم الأخلاقية؛ لنرسم لوحات جميلة قد لا تكون في متناول المتكلّم أو المستمعين، فعلينا أن نركّز على التفاصيل والجزئيات الواقعية الموجودة عندنا، أمّا الإغراق في الروحانيات والعرفانيات، فلا تكون له نتائج عملية، بل ربّما ـ في بعض الأحيان ـ يكرّس تبريرات للفسق، ومن أهمّها ما يطرحه شبابنا وكبارنا من أنّ الدين أمرٌ صعب جدّاً، وأنّه غير واقعي، وأنّ الإنسان مخلوق بطريقة معيّنة تقوده نحو الخطأ والانحراف، وبعضهم يُعبّر بأنّ الإنسان غير معصوم، وغير ذلك من الأُمور.

يمكننا أن نركّز في هذا المجال على عاملين مهمّين، وهما:

١ـ التقوى

نلحظ أنّ القرآن الكريم قد ركّز ـ بالدرجة الأساسية ـ على التقوى في آيات كثيرة[1]، وعليه؛ يمكن القول: إنّ التقوى هي الهدف العملي للقرآن الكريم. نعم،

(١) منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ (آل عمران: آية١٠٢)، ومنها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ (التوبة: آية١١٩)، ومنها: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ (المائدة: آية٢)، وغيرها من الآيات الكريمة.

يمكن أن تكون الهداية هي الخطوة الأساسية الأُولى، ولكنّ التقوى هي الخطوة العملية المباشرة التي تتحكّم بالسلوك، فمن الضروري جدّاً التركيز على دوافع التقوى، من: الخوف، والرجاء، والخشوع، والشكر، والحبّ، والولاء.

٢ـ القدوة الحسنة

من الأُمور المهمّة التي ينبغي تأكيدها في هذا المجال هي القدوة الحسنة[١].

إنّ في الحسين عليه السلام وأصحابه وأهل بيته عليهم السلام قدوات تؤثّر بشكل بالغ في الواقع الاجتماعي باتّجاه الاستقامة والالتزام الشرعي، وبلطف الله فإنّ تراثنا مُفعم بهذا المجال.

إذاً؛ الدخول في موضوع ما والاستغراق فيه ببحث تفسيري لبعض دقائق القرآن الكريم، أو ببحث فكري لبعض المفاهيم الأساسية في معرفة الدين، أو ببحث في السيرة والتاريخ لعرض بعض التفاصيل، من دون ربطه بالواقع، وعرض النماذج التي تجسّد القيم العليا فيه، إغفال لضرورة مهمّة من ضرورات وتحدّيات الواقع الذي نعيشه، والتي تفرز لنا حكماً شرعيّاً (الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر)، وهو من أهمّ الواجبات.

---

(١) فقد حثّ القرآن الكريم على الاقتداء بالنبيّ الأكرم صلى الله عليه وآله: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ (الأحزاب: آية٢١). يقول العلّامة الطباطبائي في تفسيره: «ومن حكم رسالة الرسول وإيمانكم به أن تتأسّوا به في قوله وفعله، وأنتم ترون ما يقاسيه في جنب الله، وحضوره في القتال، وجهاده في الله حقّ جهاده». الطباطبائي، محمد حسين، الميزان في تفسير القرآن: ج١٦، ص٢٨٨. وقال صاحب تفسير الأمثل: «... فإنّ النبيّ صلى الله عليه وآله خير نموذج لكم، لا في هذا المجال وحسب، بل وفي كلّ مجالات الحياة». مكارم الشيرازي، ناصر، الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل: ج١٠، ص٣١٥. كما حثّ تعالى الناس على الاقتداء بالأنبياء والرسل وطلب اتّباعهم، يقول تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ (الممتحنة: آية٤).

ثالثاً: تحدّي العدوان

إنّ المراد من هذا الموضوع واضح، وهو أنّ هناك استهدافاً للمجتمع الإسلامي الشيعي بالخصوص، وهذا الاستهداف ليس مجرّد كتابات تُكتب في تكفير الشيعة، أو مؤامرات تُحاك لإضعاف اقتصادهم، أو تفكيك مجتمعهم في بعض جوانبه الأُسرية، أو العشائرية، أو ما إلى ذلك، وإنّما هناك جهات ـ وهي الجهات نفسها التي أسّست لـ(داعش) ـ تعمل من أجل إنهاء هذا الوجود الشيعي، هذا في العراق على الأقل، فإذا كان دابر الذين كفّروا وظلموا قد قُطع على المستوى العسكري في العراق، فإنّ الجهود الكبيرة والجهات التي كانت محرّكة لهم لا تزال موجودة؛ وذلك بحسب متابعتنا للوضع في العراق، وما يصلنا من معلومات في هذا المجال من قِبل بعض المصادر المعتمدة التي تؤكّد أنّ هذه الحركات الضالّة موجَّهة من قِبل تلك الجهات نفسها.

وهذا لا يعني أنّنا نُنكر بعض عوامل الفسق الأُخرى، التي ترجع إلى الميول والنوازع البشرية نفسها، وعدم تمكّن المجتمع من حلّها، كازدياد البطالة، وتأخّر الزواج، وهذا ـ بطبيعة الحال ـ يفرز حالات معيّنة من الفسق، لكنّ تلك الجهات التي تتآمر على مستوى العدوان لاستهداف المجتمع بكلّ نظمه وبكلّ وجوده وكيانه، هي في الحقيقة تستهدف إنهاء هذا المجتمع، ومصادرة هويّته وإمكاناته.

كما أنّ هذه الجهات تعمل من خلال أداتين: (أداة الإذلال، وأداة الفسق)، فالمشكلة أكبر من أن تحقّق لنا موضوعاً للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فحسب، أو تحقّق لنا موضوعاً لوجوب دفع الشبهات وردّها، والدفاع عن أيتام آل محمد عليهم السلام بشكل أو بآخر، بل الموضوع يصل إلى حدّ الجهاد الدفاعي، وكلمة الجهاد الدفاعي

والفتوى[1] به ليست فتوى جزئية، وليست حكماً ولائيّاً، وإنّما كانت تطبيقاً للفتوى الكلّية على الموضوع الخارجي، وهذه الكبرى هي نفسها موجودة الآن، والواقع المعاش هو نفسه، وهو في معرض الاستهداف والعدوان.

وعليه؛ فإنّ وضعنا الآن ليس في مقام دفع الشبهات فحسب، أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إنّ وضعنا حالياً هو وضع جهادي يستدعي وقفة جادّة أمام الحالة اللادينية التي تنطلق ـ في كثير من الأحيان ـ بسبب الضلالات الخرافية التي تتسمّى باسم الدين، فتصير مبرراً للإفراط أو الغلو، وكذلك حالات الضلال التي تأخذ من ذلك التفريط ـ الذي يرجع إلى الإلحاد وأمثاله ـ مبرّراً لها، الأمر الذي يُصبّ جام الغضب فيه على المؤسّسة الدينية، وعلى مصداقيتها وقيمها الرئيسة؛ لفصل الناس عن الدين، حتّى تسهل قيادتهم والتحكّم بهم.

وممّا لا يخفى على أحد أنّ هذه التحدّيات وغيرها هي ممّا يمسّ حصانة المؤسّسة الدينية وحمايتها ومرجعيتها للناس، ولكن لنُركّز عليها من خلال مجسّاتكم في جهودكم التبليغية، وارتقائكم للمنبر الحسيني، فستجدون حينئذٍ أنّ في هذا الأمر تفاصيل تعثرون عليها وتتراكم عندكم برؤية واضحة لا يبقى فيها مجال للشبهة، وليس هذا منطق نظرية المؤامرة، بل هو أمر حقيقي ملموس على الأرض.

توصيات

نحتاج إلى أن نتعامل مع هذه التحدّيات تعاملاً جهادياً، وأن نتأهّب لها بشكل كامل، كما أنّ جانباً من الموضوع يحتاج إلى قرارات ترتبط بالمراكز الدينية الكبيرة عندنا، وعلى رأسها المرجعية الدينية، والعتبات المقدّسة؛ باعتبارها كيانات أساسية

(١) في هذا إشارة إلى فتوى سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيّد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه)، بوجوب الجهاد الكفائي عن حريم الوطن ومقدّساته، والوقوف بوجه الإرهاب الداعشي الذي بسط سيطرته على أجزاء كبيرة من العراق في هجمة وحشية بربرية ظالمة.

مؤثّرة في الواقع العراقي، ولكن كمسؤولية فردية لا بدّ أن نفكّر كثيراً ونتساءل: ماذا علينا أن نفعل قبل أن نشغل أنفسنا بماذا على الآخرين أن يفعلوا؟ فإنّ ربّنا سيسألنا عمّا كان علينا أن نفعل، فإنّ وظيفتنا ـ كخطباء ومبلّغين مسؤولين أمام الله تعالى تجاه هذا الواقع ـ هي أن نفكّر جيّداً فيما يجب علينا فعله، مع التوجّه إلى الأُمور الآتية:

١ـ توحيد الصفّ والخطاب[1]

لا شكّ في أنّنا بحاجة ماسّة إلى تنظيم الصفوف، وتوحيد الخطاب الذي يُعدّ من أكثر الأفعال تأثيراً في الوسط التبليغي للخطابة الحسينية، فينبغي بل يجب علينا أن نلتزم بخطاب المرجعية الدينية، وأن لا نخرج عن الإطار العام لتوجّهاتها؛ لأنّ ذلك يمثّل شرخاً للصف في الوقت الذي نكون فيه بأمس الحاجة إلى الوحدة والتماسك لمواجهة التحدّيات، إذاً؛ لا بدّ من الحفاظ على وحدة الصفّ ووحدة الموقع.

كما ينبغي أن لا نتبنّى منهج التسقيط في الخطاب، لتحقيق بعض الأغراض والمصالح الشخصية أو الحزبية، فمثلاً: نرى أنّ بعضاً ينطلق بخطابه من منطلقات سياسية، فيفضّل ـ على سبيل المثال ـ شاربي الخمر وغير المؤمنين والمتديّنين على غيرهم من المؤمنين والمتديّنين بمغالطة فظيعة، وهي أنّ شارب الخمر إذا كان نزيهاً فهو أفضل من غيره! ولكننا نقول: ما المانع أن يكون الإنسان صالحاً ونزيهاً ومؤمناً في نفس الوقت؟! وإذا كان الإنسان المؤمن والمتديّن ليس نزيهاً، فشارب الخمر أولى ألّا يكون نزيهاً أيضاً.

فهذا المنطق الذي يركّز بطريقة ما على جوانب معيّنة، ويجترّ بعض الكلمات التي يسمعها من الآخرين، ممّن يتأثّرون بالحرب المضادّة لنا، ما هو إلّا منطق خطير جدّاً،

(١) قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ (آل عمران: آية١٠٣)، وقال عزّ: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ (الأنفال: آية٤٦).

خصوصاً عندما يكون في ظرف المعركة، فنحن ـ مع ما حقّقناه من نصر على داعش في السنوات الثلاثة أو الأربعة السابقة ـ ما زلنا نعيش ظروفاً خطيرةً جدّاً، وغير مستقرّة، فالحرب لم تضع أوزارها تماماً كما نتوقّع، وكلّ شيء حتّى الآن هو في معرض الخطر.

٢ـ التحلّي بالمصداقية لكسب ثقة الناس

ليس عندنا في الوسط الشيعي حالة رسمية وحكومية تسيّرنا وتتحكّم بنا، وعلى أساسها يُلزَم الآخرون بالقبول منّا، كما نشاهد ذلك عند بعض الأديان أو المذاهب الأُخرى، بل إنّنا ـ من خلال نظامنا غير المركزي، والمستقل عن أيّ كيان حكومي أو سياسي، والتزامنا عموماً بالقيم والمبادئ التي نتبناها ـ نحقّق درجة عُليا من الثقة بيننا وبين جمهورنا الكبير.

إنّ المصداقية هي العامل الوحيد الذي نستطيع من خلاله بناء الثقة بيننا وبين المجتمع، وكلّما قويت هذه الثقة زادت من ارتباط الناس بعلماء الدين، أمّا إذا ضعفت وتزعزعت ـ لا سمح الله ـ فستخرج الأُمور عن السيطرة، وعليه؛ فإنّ أيّ شيء يهزّ الثقة العامّة يجب أن يُحسب له ألف حساب، فإن صادفنا بعض الأخطاء هنا وهناك، يجب أن نعالجها بما لا نُعرّض به الواقع الاجتماعي لأخطار أُخرى مشابهة، وينبغي لنا أن نُبعد أنفسنا وتصرّفاتنا عن كلّ شيء يهزّ ثقة الآخرين بنا، ويؤدّي إلى زعزعة الثقة بالمنبر الحسيني.

فعلى سبيل المثال: لو وجدنا عند ضابط العمليات الذي يقود المعركة خللاً ما، فهل يمكننا أن نُشجّع المقاتلين على التمرّد عليه؟! أو نُفشي بعض الأسرار التي تؤدّي إلى التمرّد عليه؟! بالتأكيد لا ينبغي أن يحصل مثل ذلك. وكذلك فيما يرتبط بالمنبر الحسيني، فهناك مَن يتلقّف الأخطاء التي قد تصدر في بعض الأحيان من على المنبر، وينشرها بشكل واسع، وهذا خطأ كبير، يجب أن ننتبه له جيّداً.

ويمكننا أن نذكر عاملين من عوامل تعزيز الثقة بين المبلّغ والجمهور، وهما:

أ ـ الإخلاص لله تعالى

ولا بدّ من تحقّقه على مستوى: السلوك، والخطاب، والتعامل مع الناس، بل نحن مدعوّون إلى الإخلاص لله عزّ وجلّ على جميع المستويات، وهذه الدعوة تكون تارةً بالعنوان الأوّلي الأساسي، وأُخرى بالعنوان الثانوي؛ من أجل الحفاظ على ثقة عامّة الناس بالمنبر الحسيني، خصوصاً إذا كانت هذه الثقة مستهدفة بدرجة رئيسة.

وهذا لا يعني أن نتزلّف إلى الناس، ونتملّق لكسب ثقتهم، فهذه ليست الطريقة الصحيحة والمناسبة، وإنّما نريد أن نستقيم. وقد نقل لي أحد وكلاء المرجع الديني السيّد سعيد الحكيم (دام ظلّه) أنّه قال له: أوصني، فأنا عازم على الذهاب إلى المكان الذي بعثتني إليه. فقال له ببساطة: امشِ باستقامة وحسب، وهذا هو المطلوب منك فقط. فمن خلال الاستقامة يمكن أن نكسب ثقة الآخرين، لا أن نكسبها على طريقة الإعلان التجاري، فهذا خطير جدّاً؛ لأنّ ثوب الرياء يشفّ عمّا تحته، حتّى لو كان بداعٍ ديني، وقد ورد في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «**ما على أحدكم لو كان على قُلّة جبل حتّى ينتهي إليه أجله، أتريدون تراؤون الناس؟! إنّ مَن عمل للناس كان ثوابه على الناس، ومَن عمل لله كان ثوابه على الله، إنّ كلّ رياء شرك**»[1].

إذاً؛ فالثقة مطلوبة على مستوى سلوكنا، وعلى مستوى تقييم الآخرين وتعاملنا معهم، فينبغي لنا ـ ونحن مؤتمنون على هذا الأمر ـ أن نحافظ عليها بأقصى ما نستطيع، خصوصاً في الظرف الذي تُستهدف فيه الثقة العامّة بالمؤسّسة الدينية بشكل كبير.

ب ـ الصدق والأمانة

فقد ورد في الرواية «**عن أبي كهمس، قال: قلت لأبي عبد الله** عليه السلام: **عبد الله بن أبي**

(١) الحرّ العاملي، محمد بن الحسن، وسائل الشيعة: ج١، ص٧٠.

يعفور يُقرئك السلام. قال: وعليك وعليه السلام، إذا أتيت عبد الله فاقرأه السلام، وقل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: اُنظر ما بلغ به عليعليه السلام عند رسول اللهصلى الله عليه وآله فالزمه، فإنّ عليعليه السلام إنّما بلغ ما بلغ به عند رسول اللهصلى الله عليه وآله بصدق الحديث، وأداء الأمانة»[1].

وانطلاقاً من هذا الحديث نؤكّد ضرورة أن يتحمّل الخطيب مسؤوليته، وأن يحفظ الأمانة والرسالة التي يحملها للناس، وأن يتحلّى بالصدق في الحديث، وأن يحذر الاستناد إلى نصوص غير موثوقة، أو الاعتماد على ذاكرة مشروخة في نقل بعض النصوص، فإنّ هذا خلاف ما أوصى به أهل البيتعليهم السلام من صدق الحديث وأداء الأمانة، فلربّما لا نجد أمراً أخلاقيّاً عملياً قد تمّ تأكيده في منظومة السنّة كالتأكيد على هاتين الصفتين.

إذاً؛ فهذه مسؤولية يجب أن يحتملها الخطيب الحسيني، فلا ينقل عن الآخرين بشكل غير دقيق، سواء كان ذلك النقل عن الأعداء، أم عن الأولياء، وبغضّ النظر عن أسباب ومبرّرات ذلك النقل؛ لأنّه أمرٌ خطير جدّاً، يزعزع الثقة بالمنبر الحسيني.

٣ـ تقوية الروح المعنوية عند المؤمنين

من المسؤوليات المهمّة التي تقع على عاتق الخطيب تقوية الروح المعنوية عند المؤمنين، فالموسم الحسيني هو موسم الروح المعنوية، والقضية الحسينية هي قضية دينية إصلاحية، وليست وسيلة لجلد الذات فقط كما يتصوّرها البعض، فيعكس صورة ناقصة عن القضية الحسينية وأهدافها، والتكليف الشرعي تجاهها.

فالإمام الحسينعليه السلام هو حسين المعنويات، والالتزام بطاعة الله ضمن الضوابط الشرعية، والثبات على المبادئ، والاستعداد لتحمّل الصعوبات، وغير ذلك من المفاهيم الإسلامية والإنسانية التي ينبغي تبليغها للشابّ المؤمن؛ لتتجسّد في شخصيته، وتنعكس على سلوكه، وتكون طريقه الذي يسلكه في حياته، أُسوةً بالحسينعليه السلام وأهل بيته وأصحابهعليهم السلام.

---

(١) المصدر السابق: ج١٩، ص٦٧.

فعلى شبابنا مواجهة الحالة العامّة، والثبات على المبادئ، والاستعداد لتحمّل صعوبات الاغتراب في مجتمعهم، يجب أن تقوى شخصية الشابّ بحيث يتعلّم من غربة الحسين عليه السلام، وأبي الفضل العباس عليه السلام، كيف يكون غريباً مظلوماً، وفي الوقت نفسه قويّاً رابط الجأش، ثابتاً لا تهزّه العواصف.

وعليه؛ إذا أردنا أن نعزّز الروح المعنوية عند المؤمنين الذين يعانون ضغوط محيطهم الاجتماعي المنفلت، فلا بدّ من التذكير بغربة الإمام الحسين عليه السلام وظُلامته؛ لتبقى مثلاً أعلى للثبات والرصانة وقوّة المعنويات، ذلك الإمام الذي تجتمع عنده الملايين في الأربعين، والذي نذكره ونتشرّف بالبكاء عليه باستعراض ظُلامته وغربته.

إنّ المظلومية الحسينية هي مدرسة للمؤمنين الأقوياء، والتركيز عليها أمرٌ ضروري؛ لأنّ مَن يبكي ويحزن على الحسين عليه السلام ويتأثّر بمصابه يكون أبعد عن الضلال، وأقرب للتقوى، وأجدر بالدفاع عن مجتمعه وقيمه.

وكما ينبغي التأكيد على مظلومية الإمام الحسين عليه السلام بشكل خاصّ، ينبغي التأكيد أيضاً على مظلومية أهل البيت عليهم السلام بشكل عامّ، وكذلك التأكيد على مظلومية المؤمنين، والحوزة العلمية، والعمامة الشيعية التي كانت سبّاقة في ميدان الجهاد والتضحية، فلا نعرف فئة من الفئات النخبوية الثقافية وغير الثقافية قد قدّمت عدداً من الشهداء بحجم ما قدّمته الحوزة العلمية في معركتنا ضدّ داعش، مع أنّ دورها في المعركة هو دور تعبويّ، وليس دوراً قتالياً، ومع كلّ ذلك يوجد هذا الكمّ الكبير من الاستهداف للعمامة، وللمنبر والشعائر الحسينية.

إذاً؛ لا بدّ من التركيز على هذا الموضوع إلى حدّ أنّه ينبغي للخطيب محاسبة نفسه عندما ينزل من المنبر؛ لمعرفة مدى تمكّنه من تقوية هذا الجانب المعنوي للقضية الحسينية في النفوس، فإنّ تقوية هذه المعنويات العامّة ضرورية جدّاً في مواجهة الأعداء، فبعض شبابنا ـ في الوقت الحاضر ـ لا يمتلكون القوّة والإرادة للجهر برأيهم الشرعي والديني في وسائل الإعلام، أو حتّى في وسائل التواصل الاجتماعي؛ وهذا

نتيجة ضعف الحالة المعنوية في القلوب والنفوس، والضعف في الإرادة والمناعة، الأمر الذي يتحمّل مسؤوليته كلُّ مَن يُضعّف الحالة المعنوية في القلوب والنفوس.

لقد كان الشباب المؤمنون في أيّام النظام الصدّامي في العراق يمتلكون قوّة وإرادة في داخلهم، فكانوا يُجلَدون بالسياط، ويُعذَّبون بشتّى أساليب وأدوات التعذيب، ومع ذلك كانوا صابرين صامدين محتسبين، يستحضرون الحسين عليه السلام، ويستذكرون معاناته، ويستلهمون منه القوّة، أمّا اليوم فبمجرّد أن يتشكّل رأي جمعيّ بشكل أو بآخر نجد بعض الشباب لا يمتلكون تلك القوّة والإرادة لمواجهته. إذاً؛ نحن بحاجة إلى أن نطوّر خطابنا بهذا الاتجاه الذي يحمي المعنويات، ويقوّي الإرادة، ويحفظ الشخصية القوية.

اللّهمّ أدخلنا في كلّ خير أدخلت فيه محمّداً وآل محمّد، وأخرجنا من كلّ سوء أخرجت منه محمّداً وآل محمّد، والحمد لله ربّ العالمين، وصلّى الله على سيّدنا محمّد وآله الطيبين الطاهرين.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم.

١ـ الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ناصر مكارم الشيرازي، مؤسّسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ـ لبنان، الطبعة الأُولى، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢ـ الميزان في تفسير القرآن، محمد حسين الطباطبائي، مؤسّسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قم المقدّسة ـ إيران.

٣ـ وسائل الشيعة، محمّد بن الحسن الحرّ العاملي، مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، قم المقدّسة ـ إيران، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ.